مركز دراسات الوحدة العربية

# قضايا في الفكر المعاصر

العولمة - صراع الحضارات - العودة الى الأخلاق - التسامح

الديمقراطية ونظام القيم - الفلسفة والمدينة

الدكتور محمد عابد الجابري

WWW.ATHAREBARTAR.COM

# المحتويات


**أولاً: الفلسفة والمدينة** ..... ٧
١ ـ الفلسفة.. فن صياغة المفاهيم ..... ٩
٢ ـ الديمقراطية الحقيقية.. أو الطوفان المحقق ..... ١٣
**ثانياً: التسامح بين الفلسفة والدين والإيديولوجيا** ..... ١٧
١ ـ التسامح في الفلسفة.. موقف ابن رشد من الآخر ..... ١٩
٢ ـ مفهوم ملتبس.. ولكن لا بديل! ..... ٢٥
٣ ـ من أجل إعادة بناء المفهوم..
العدل أولاً.. والتسامح كإيثار ..... ٢٩
**ثالثاً: العودة إلى الأخلاق** ..... ٣٣
١ ـ العلم.. وأساس الأخلاق ..... ٣٥
٢ ـ الأخلاق كموضوع للعلم... ..... ٤١
٣ ـ أخلاق السادة.. وأخلاق العبيد:
نيتشه منخرطاً في علموية عصره ..... ٤٧
٤ ـ الأخلاق بين الوجدان والمنطق.. والعقل: الضحية ..... ٥٣
٥ ـ العقل المعياري والعقل الأداتي ..... ٥٨
٦ ـ الأخلاق.. و«أخلاقيات البيولوجيا» ..... ٦٣
**رابعاً: الديمقراطية ونظام القيم في الثقافة العربية الإسلامية** ..... ٦٧
١ ـ الديمقراطية.. والعدل ..... ٦٩
٢ ـ العدل الإلهي.. وعدل الأمير ..... ٧٣
٣ ـ التشبه بنظام الكون.. وغياب الديمقراطية ..... ٧٧
**خامساً: صدام الحضارات** ..... ٨١
١ ـ صدام الحضارات: وهم.. أم قضية؟ ..... ٨٣
٢ ـ المركز والأطراف.. ومسألة «الأمن» ..... ٨٧
٣ ـ أسلوب صدامي.. ومغالطات ..... ٩٣




WWW.ATHAREBARTAR.COM

٤ ـ «الحضارة هوية ثقافية».. والثقافة؟ ..... ٩٩
٥ ـ معايير متهافتة.. ومغالطات شنيعة ..... ١٠٣
٦ ـ الاشتراك في حضارة دعوى غير بريئة ..... ١٠٩
٧ ـ «الحدود الدموية».. وازدواجية المقاييس ..... ١١٥
٨ ـ من أجل ضمان هيمنة الغرب... ..... ١٢١
٩ ـ المصالح.. ولا شيء غير المصالح ..... ١٢٥
١٠ ـ حوار الثقافات.. أم توازن المصالح؟ ..... ١٢٩
سادساً: العولمة: نظام وإيديولوجيا ..... ١٣٣
١ ـ العولمة: أسئلة يجب الوعي بها ..... ١٣٥
٢ ـ العولمة: تنمية الفوارق وتعميم الفقر ..... ١٣٩
٣ ـ إيديولوجيا العولمة.. والإمبراطورية العالمية ..... ١٤٣
٤ ـ العولمة: تستهدف الدولة والأمة والوطن ..... ١٤٧
٥ ـ العولمة: نهاية السياسة ..... ١٥٠
المراجع ..... ١٥٥



WWW.ATHAREBARTAR.COM

# أولاً: الفلسفة والمدينة

WWW.ATHAREBARTAR.COM

# ١ ـ الفلسفة.. فن صياغة المفاهيم

**إن «وقاحة» الفلسفة تفرض القول إن «إطلاق سراحها» يقتضي تحمل خطابها حول «المدينة»، فهي شرط وجودها والغاية التي تجري إليها في آن واحد...**

عاد الحديث، في المدة الأخيرة، عن الفلسفة و«المدينة». وهذه العودة لها معنى، خاصة في الوطن العربي. فالفلسفة اليوم إما غائبة وإما مهمشة، كما في أقطار المشرق. أما في المغرب العربي حيث كان للفلسفة مكان واعتبار في المدارس الثانوية والجامعات وسوق الثقافة عموماً ـ وبكيفية خاصة خلال الستينات والسبعينات ـ فلقد تراجع حضورها وتقلص لأسباب سياسية في الغالب.

الدولة اللاديمقراطية لا تتحمل «وقاحة» الفلسفة والفلاسفة... ولأسباب سياسية أيضاً عادت «الدولة»، أو بعض هوامشها، تتحدث عن ضرورة الفلسفة لمواجهة التطرف... الخ. أما القوى الديمقراطية التي ترفع شعار «المجتمع المدني» فإن تصورها لمضمون هذا الشعار سيظل ناقصاً ما لم تحضر فيه الفلسفة. أوليس المجتمع المدني هو، أولاً وقبل كل شيء، مجتمع «المدينة»؟ أوليست الفلسفة بنت «المدينة»، وأكثر من ذلك روحها وقوامها؟

إن «وقاحة» الفلسفة تفرض القول إن «إطلاق سراحها» يقتضي تحمل خطابها حول «المدينة»، فهي شرط وجودها والغاية التي تجري إليها في آن واحد، كما أن صراحة الفلسفة تقتضي القول: إن «المجتمع المدني» لا معنى له بدون «المدينة». والمدينة بدون الفلسفة مجرد تجمع سكاني لا روح له.

الفلسفة مطلوبة، اليوم على الأقل. ولكن الفلسفة مزعجة. ومصدر الإزعاج فيها أنها تبدأ بالسؤال.. أما الجواب الذي لا يثير سؤالاً جديداً فهي لا تحتفل به. والسر في قدرة الفلسفة على طرح أسئلة جديدة، كلما اقتضى الأمر ذلك، هو أنها تعمد باستمرار إلى إعادة التعرف على نفسها كلما شعرت بأن مهمة جديدة تنتظرها. ومن هنا ذلك السؤال الخالد في الفلسفة، سؤال: «ما الفلسفة؟».

وموضوعنا هنا، اليوم، هو «المدينة» و«المجتمع المدني» و«الديمقراطية وحقوق الإنسان» و«العدالة» و«التسامح»... الخ. وبعبارة أخرى، إن القضايا التي تشغل



WWW.ATHAREBARTAR.COM

الفكر المعاصر اليوم هي هذه المفاهيم وأمثالها. . وبالتالي فالظرف الراهن يجعل مهمة الفلسفة مركزة على «المفاهيم»، على إعادة بنائها وابتكار الجديد منها. كانت مهام الفلسفة، خلال تاريخها المديد تتنوع بتنوع القضايا التي كانت تسم كل حقبة تاريخية: فمن بناء تصور عقلي للوجود ومناقشة قضية المعرفة وحدودها، إلى مناقشة علاقة الفلسفة بالدين، إلى الـ«أنا أفكر»، إلى سؤال: «ماذا يمكن أن أعرف؟ وماذا يجب أن أفعل؟»، إلى مساءلة التاريخ ومنطق صيرورته والمجتمع وتاريخ تطوره، إلى فحص مناهج العلوم وتحليل لغتها. . . الخ، عبر هذه القضايا والأسئلة تشكل تاريخ الفلسفة، وفي كل مرة كان السؤال التمهيدي الضروري هو: «ما الفلسفة؟».

ليس غريباً إذن أن يطرح هذا السؤال نفسه في عصرنا هذا، أقصد في أيامنا هذه التي أصبح من الضروري فيها إعادة بناء المفاهيم، بعد أن انحلت وتفككت المنظومات الفكرية السابقة. وهذا ما حصل فعلاً، فقبل بضع سنوات فقط، وبالضبط في عام ١٩٩١ أصدر الفيلسوف الفرنسي المعاصر جيل دولوز (بالاشتراك مع صديقه فيليكس كاتاري) كتاباً بعنوان: ما الفلسفة؟، قدما فيه تعريفاً «جديداً» للفلسفة يجعل منها: «فن صياغة وإنشاء وصنع المفاهيم»[1].

أجل، الفلسفة مطالبة اليوم، ومنذ بداية التسعينات من هذا القرن، بالاشتغال بالمفاهيم: لقد تغير العالم، عالم الفكر وعالم الواقع، مع ما شهدته نهاية الثمانينات من أحداث عظام: سقوط جدار برلين، انهيار الاتحاد السوفياتي، تفكك وتلاشي المنظومة الفكرية الاشتراكية، وحلول منطق «العولمة» محل الفكرة القومية. . . الخ، وذلك بعد أن تجمدت الوجودية وتكلست الوضعية المنطقية وغيرهما من التيارات الفلسفية التي عرفها هذا القرن. وبعبارة قصيرة: مع نهاية الثمانينات من هذا القرن انتهى «نظام عالمي» فكري وسياسي، وأصبح التفكير في نظام آخر «جديد» مطروحاً، على الأقل كشعار. فهل يجوز للفلسفة أن تغيب أمام هذه التحولات الكبرى؟ لقد فرضت هذه التحولات على الفلسفة أن تعود ثانية إلى مساءلة نفسها، إلى إعادة تحديد مهمتها. أوليست الفلسفة مقرونة بـ«الحكمة»؟ أوليس من «الحكمة» البدء في كل بناء بفحص الأسس ونقد المواد التي بها يتم البناء والتشييد؟ والمواد، مواد البناء الفلسفي، هي دوماً: المفاهيم.

أجل، مهمة الفلسفة اليوم هي «خلق المفاهيم»، غير أن «الخلق» ـ في نظر

---

(١) Gilles Deleuze et Félix Guattari, *Qu'est-ce que la philosophie?* (Paris: Editions de Minuit, ©1991).



WWW.ATHAREBARTAR.COM

الفلسفة نفسها ـ لا يكون «من عدم»، وإنما يكون من شيء ما. إن الأمر يتعلق في الحقيقة بإعادة بعث الحياة في مفاهيم سابقة أو إعادة بناء مفاهيم سائدة بعد فحصها ونقدها.. وأيضاً تحليل ونقد مفاهيم طارئة يقذف بها إلى الساحة الفكر السياسي الراهن، «فكر الوقت»، المؤقت، بدون شك.

من المفاهيم التي تحتاج اليوم إلى بعث الحياة فيها مفهوم «المدينة»، ومفهوم «التسامح»، ومفهوم «العدل» ومفهوم «الأخلاق والأخلاقيات»... الخ. أما المفاهيم التي يقذف بها «الوقت» إلى الساحة قذفاً، والتي تطرح على كاهل الفلسفة مهمة فحصها ومواجهتها فكثيرة ومتنوعة، نخص بالذكر منها هنا: مفهوم «صراع الحضارات» ومفهوم «العولمة» ومفهوم «اللاقومية» ومفهوم «نهاية الديمقراطية» ومفهوم «تحلل الدولة» إلى غير ذلك من المفاهيم التي على الفكر الفلسفي أن يواجهها بسلاح النقد والتعرية.

لنتطلق في هذا المؤلف الخاص بـ قضايا الفكر المعاصر من «المدينة والفلسفة»، فالمستهدف أساساً هو «المدينة» كما تتحدد بـ«الفلسفة».

المدينة، في معناها العام، الذي تعطيه قواميس اللغة يختلف باختلاف الحضارات. لتكن نقطة بدايتنا إذن هي قاموس اللغة العربية وحضارتها.

مما جاء في لسان العرب حول مادة (م. د. ن) ما يلي: مدن بالمكان: أقام به، ومنه المدينة. هذا قول. وهناك قول آخر يرى أن «مدينة» هي مفعلة من دنت أي ملكت. وفي هذا السياق يقال للأمة (أنثى العبد): مدينة أي مملوكة، من الدين. ومنه قولك أنا مدين لك بكذا. أما عبارة «ابن مدينة» فتعني في لغة العرب، عرب الجاهلية، ابن أمة. والمدينة أيضاً: الحصن.

ومن الألفاظ العربية التي تفيد معنى «المدينة»، بمعناها المعاصر أو القريب منه، كلمة «حضر». الحضر: ضد البادية، وهو من الحضور والاستقرار في الأرض، وذلك في مقابل «البدو» و«البداوة» التي تعني سكنى البادية = العارية، العراء). ومن هنا يتميز البدو بالحل والترحال وعدم الاستقرار. أما كلمة «مصر» والجمع «أمصار» فمعناها: كورة لتوزيع الفيء وإقامة الحدود...

أما في القاموس الفرنسي فكلمة «فيل» (Ville) (مدينة) أصلها اللاتيني من «فيلا» (Villas) ومعناها: الضيعة، الدار في «الريف» (المزارع). وفي الاستعمال المعاصر: تجمع سكني جغرافي واجتماعي قوامه بنايات تخترقها طرقات وسكان يعملون في التجارة والمهن والصناعة... الخ (ولكن ليس في الفلاحة). والنسبة إلى المدينة بهذا المعنى «أوربان» (Urbain)، ومنها «أوربانيسم» (Urbanisme)، وهما



WWW.ATHAREBARTAR.COM

معاً من «أوربس» (Urbus) التي تعني: المدينة، باللاتينية كذلك.

«المدينة» بهذا المعنى الجغرافي الاجتماعي ليس لها علاقة مفهومية بالفلسفة. فلننتقل إلى لفظة أخرى تستعمل مرادفاً لـ «المدينة»، في اللغات الأوروبية، ولكن مع فارق. إنها لفظة «السيتي» (Cité, City). هذه اللفظة ليس لها مقابل خاص في لغتنا. ولعل أقرب الكلمات العربية إلى معناها كلمة «الحاضرة» لأنها تشير إلى حضور القوم وإلى الحضارة، خلاف البداوة. ومع ذلك فـ «السيتي» لا تعني مجرد الحضور، بل تفيد أكثر من ذلك... إنها باللاتينية «سيفيتاس» (Civitas) ومعناها: «الشخصية المعنوية والقانونية التي قوامها مجموعة من «المواطنين» (= سيتوايان بالفرنسية (Citoyen) وسيتيزن بالإنكليزية (Citizens): سكان السيتي) ويعيشون بصورة مستقلة تسري عليهم نفس القوانين». ولعل أقوى تمييز بين المدينة بمعنى «فيل» و«السيتي» هو قول جان جاك روسو: «المنازل تشكل المدينة (= فيل) أما المواطنون فيكونون السيتي».

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن كلمة «مواطن» بالعربية التي يراد لها أن تؤدي معنى «سيتيزن» (أو سيتوايان بالفرنسية) لا تعبر بدقة عن المعنى المقصود. ذلك أنها تحيل إلى «الوطن»، وبالتالي فالمواطن هو من يشارك غيره في الانتماء إلى وطن، والوطن (Patrie) (باتري) أرض قبل كل شيء وهو غير السيتي. إن عضو السيتي الذي يراد لكلمة مواطن أن تدل عليه، هو الشخص «الذي يتمتع بالحقوق الخاصة بأعضاء الـ سيتي (مدينة أو دولة)، وذلك بالعكس من «سوجي» (Sujet) (= أحد أفراد الرعية). ومن هنا شعار: «مواطنون لا رعايا». هناك عبارة للمفكر الفرنسي آلان مشهورة تلخص الموقف كله ونصها: «خصلتان تميزان المواطن (= سيتويان): المقاومة والامتثال. بالامتثال يضمن النظام وبالمقاومة يضمن الحرية».

فهل للمدينة بهذا المعنى الروماني القديم علاقة مفهومية بالفلسفة؟



WWW.ATHAREBARTAR.COM

## ٢ ـ الديمقراطية الحقيقية . . . أو الطوفان المحقق

**ومن حسن حظنا، هنا في المغرب وفي بلدان عربية وإسلامية أخرى، أن الطوفان لم يحصل بعد . . .**

ما يميز «المدينة» (السيتي) بمعناها الروماني (سيفيتاس) هو أنها «اجتماع سياسي يدير أعضاؤه شؤونهم بأنفسهم». وهذا هو نفسه المعنى الذي تفيده كلمة «بوليس» (Polis) اليونانية ولكن بصورة أقوى، نظراً للعلاقة بين «بوليس» و«بوليتيك» (Politique) (السياسة)، وهي علاقة نسبة. فالسياسة (بوليتيكوس باليونانية) إنما سميت كذلك لأنها تدبير الـ «بوليس»، والاثنان معاً، أعني المدينة وتدبيرها السياسي، عنصران متلازمان في المفهوم اليوناني لـ «المدينة». ومن هنا التعبير عن هذا المفهوم بعبارة «دولة المدينة» أو المدينة/ الدولة. والمقصود هو المجتمع الذي تحتويه المدينة ويشكل دولة. أما عضو هذه المدينة فهو بالفرنسية «سيتويان» وبالإنكليزية «سيتيزن»، ويترجم اليوم إلى العربية بكلمة «مواطن»، وهي ترجمة غير دقيقة، كما سبقت الإشارة، ولكن مقبولة لغياب البديل. إن «المواطن» بالمعنى اليوناني الروماني للكلمة يتحدد معناه، لا بانتمائه لوطن، بل بكونه يتمتع بحق المشاركة السياسية، حق المساهمة في تدبير المدينة وتسيير شؤونها. وبعبارة أخرى: «المواطن»، بالمعنى اليوناني للكلمة، هو الذي يتكلم ويناقش الشؤون العامة التي تخص المدينة.

ومن **الكلام** في الشؤون العامة ومناقشتها وإبداء الرأي فيها والحجاج حولها نشأت الفلسفة في اليونان. ومعلوم أن الكلام والمناقشة والحجاج والجدال في الشؤون العامة، كل ذلك إنما يتم بواسطة **اللغة**، واللغة السياسية بالتحديد. وهذه الأخيرة مفاهيم وخطاب وآليات للاحتجاج والإقناع والاستدلال، أي: منطق وعقل. ومن هنا كان «الكلام» و«النطق» و«العقل» أموراً متلازمة عند اليونان تعبر عنها جميعاً كلمة واحدة هي اللوغوس (Logos). ومن هذه الكلمة جاءت كلمة لوجيك (Logique): المنطق. وقد احتفظت الترجمة العربية بذلك التلازم، فـ«المنطق» من النطق والكلام، وهو أيضاً «فن المنطق»، وهو جملة «القواعد والقوانين التي يوزن بها الصواب والخطأ في الكلام (وهذا تعريف قديم شائع ولو أنه غير دقيق). ومن هنا أيضاً نفهم كيف أن أرسطو يعرّف الإنسان تارة بأنه «حيوان ناطق» أي عاقل، وتارة بأنه «حيوان سياسي».

هناك إذن علاقة حميمة بين الفلسفة والمدينة، ويوضح جان بيير



WWW.ATHAREBARTAR.COM

فيرنان[٢] في كتاب له صغير ولكنه جيد ومرجع في الموضوع، يوضح العلاقة بين الفلسفة والمدينة عند اليونان كما يلي، بقول مجمل: كان ظهور المدينة في تاريخ الفكر اليوناني حدثاً حاسماً. ذلك أن ما يتطلبه نظام المدينة هو، أولاً وقبل كل شيء، ذلك الحضور الدائم للكلام وتفوقه على الوسائل الأخرى التي تمارس بها السلطة. لقد غدا الكلام هو الأداة السياسية بامتياز، والوسيلة التي تمارس بها السلطة على الغير. إن جميع المسائل التي لها علاقة بالشؤون العامة والتي كان «العاهل» يتولى أمرها بنفسه أصبحت في المدينة خاضعة لفن الخطابة، يحسم فيها بواسطة النقاش والجدال. ومن أجل أن يمارس الكلام سلطته بصورة منظمة يجب أن تصاغ القضايا موضوع النقاش في خطاب، فتصب في قوالب الاستدلال الحجاجي الذي تطرح فيه القضية ونقيضها... إن بين السياسة والكلمة/العقل علاقة متينة متبادلة. فـ «فن السياسة» هو أساساً ممارسة للغة، والعقل (اللوغوس) إنما يحصل له الوعي بذاته وبالقواعد التي يعمل بها وبما له من تأثير وفاعلية من خلال وظيفته السياسية[٣]. وهكذا فعلى المستوى السياسي عبر العقل اليوناني عن نفسه، وعلى نفس المستوى تشكل وتم تكوينه. إن التجربة الاجتماعية قد غدت عند اليونان موضوع تفكير إيجابي - وضعي غير أسطوري - لأنها كانت تتأسس في المدينة على نقاش عام لقضايا ملموسة تقارع فيها الحجة بالحجة.. ويختم جان بيير فيرنان بالقول: «إن العقل اليوناني لم يتشكل من خلال علاقة الإنسان بالأشياء (الطبيعية)[٤] بقدر ما تكون من خلال علاقة الناس بعضهم ببعض». إن العقل اليوناني - والفلسفة اليونانية كذلك - «سواء في محدوديته أو في ابتكاراته هو ابن المدينة»[٥].

المدينة مكان.. والمدينة سكان مقيمون، نعم. ولكن المدينة أيضاً، وهذا أهم، نظام سياسي يقوم على مشاركة أعضائها في تدبير شؤونها، وذلك بواسطة الكلام والمنطق. والفلسفة ليست شيئاً آخر سوى أسمى أنواع الكلام بأسمى أنواع المنطق، وهذا السمو المضاعف هو ما يجعل منها «حكمة». والحكيم هو الذي يتكلم عن معرفة وابتغاء للفضيلة لا غير. ومن هنا «الحكماء السبعة»، المشرعون للنظام في المدينة الداعون إلى نشر الفضيلة فيها، وكانوا معروفين ومعدودين نسج

---

(٢) Jean-Pierre Vernant, *Les Origines de la pensée grecque* (Paris: Presses universitaires de France, 1981).

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٥.

(٤) كما هو الشأن بالنسبة للعقل الأوروبي الحديث (وهذا ما يشير إليه الكاتب). ويمكن أن نضيف، على سبيل المقارنة، أن العقل العربي تشكل من خلال تعامله مع اللغة والنصوص والفقه. انظر: محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، نقد العقل العربي؛ ١، ط ٣ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٨).

(٥) Vernant, Ibid., p. 133.



WWW.ATHAREBARTAR.COM